العنف المدرسي

د. قنيفة نورة / ا .عادل تاحوليت
جامعة أم البواقي

الملخص :

لا يزال العنف المدرسي من أكثر الظواهر التربوية التعليمية تأثيرا على المسار التمدرسي و على الوضع التربوي بشكل عام ، و لعل محاولة تحليل أبعاده و مختلف مظاهره قد يساعد على معالجة الظاهرة و الحد من إفرازاتها الآنية و المستقبلية لاسيما ما ارتبط بالتسرب المدرسي و العزوف عن الدراسة و غيرها من الظواهر التي عكست أزمة تربوية تعليمية حقيقية.

سنحاول عبر بعض الطروحات النظرية المرتبطة بالظاهرة تحليل أبعادها و تقديم قراءة علمية تربوية قد تساهم في إعادة النظر في بعض الجوانب التربوية التعليمية التي أدت إلى انتشار العنف المدرسي.

Abstract :

School violence is still one of the most educational phenomena educational impact on the path school and the educational situation in general, and perhaps try dimensions analysis and various manifestations may help to address the phenomenon and reduce secretions immediate and future, especially what has been associated with the school to leak and reluctance to study and other phenomena which reflected a genuine educational crisis .

We will try to cross some theoretical propositions related to the phenomenon dimensions analysis and provide scientific educational reading may contribute to reconsider some aspects of the educational learning that led to the spread of school violence.

مقدمة

إن فئة المتعلمين هي مستقبل المجتمعات و رأس مالها، و الإهتمام بها هو السبيل القويم لكل عملية تخطيط تربوي و اجتماعي و اقتصادي جاد و ناجح، هذا الإهتمام هو نتيجة منطقية للتطور الذي تعرفه البشرية. و بالرغم من تحسن الظروف المحيطة بالمتعلّم كثيرا مقارنة بالعقود السابقة، إلاّ أنه لا تزال هناك بعض المشاكل كالفشل و التسرب و العنف المدرسي التي تعرقل الجهود و المساعي الحثيثة المبذولة في سبيل إنجاح العملية التربوية.

يُعد العنف المدرسي أحد أبرز هذه المشاكل التي كثر الحديث عنها، و الذي لم نكن نسمع به في المؤسسات التعليمية قبل سنوات خلت، حيث لم يعد يوصف اليوم " **بالحدث المعزول**" الذي يمكن حله سريعا من طرف الإدارة المدرسية و دونما الحاجة إلى مساعدة خارجية ، و إنما تجاوز هذا الحد ليرقى

إلى مستوى " **ظاهرة** " تستلزم تجنيد جميع الفعاليات و الجهات الوصية ذات العلاقة، ثم إن هذه الظاهرة بالرغم من جدتها سرعان ما اتسعت لتحتوي المناطق الجغرافية كافة، و في مختلف الأطوار الدراسية. **(صابة، 2014، 93)**

كما يعتبر العنف المدرسي من أهم المشاكل السلوكية لدى تلاميذ المدارس بأطوارها الثلاث و خاصة الطور الثاني و الثالث و اللذين يتزامنا مع مرحلة المراهقة، و يلاحظ تفشي مظاهر العنف و الشغب بين المتعلمين و التي أضحت ظاهرة تتفاقم مع الأيام إلى مشاهد العنف بأشكاله. حيث أصبح من النادر أن تسأل معلّما عن أحوال و ظروف تدريسه حتى يبادرك بشكواه من سلوك المتعلمين ، هذا ما جعلهم يظهرون رغبة في الفرار إلى أي عمل آخر خارج دائرة التربية و التعليم ، هروبا من الضغط النفسي.**(Fournier, 2013, 46)**

هو أيضا أحد الأنماط التي بدأت تظهر بصورة جلية و واضحة في مجتمعاتنا العربية و منها المجتمع الجزائري ، و لعل أهمية الطرح تنبع أساسا من كون المدرسة ثاني مؤسسات التنشئة الإجتماعية بعد الأسرة ، و يقع على عاتقها مسؤولية كبيرة إلى جانب الأسرة في تنشئة الفرد تنشئة إجتماعية سليمة لأن المدرسة وجدت في المجتمع لتعديل الأهداف الإجتماعية وفق فلسفة تربوية إلى عادات سلوكية تتزامن مع النمو المتكامل و السليم للتلاميذ ، كما أوكلها المجتمع تربية النشئ و صياغة العقول التي تأخذ بدورها إلى صناعة المستقبل بكل ما تزود به هذه العقول و تنشأ عليه ..و قد انتشر العنف المدرسي مما ينبئ بقدوم خطر داهم على المجتمع خاصة و أن الخطر يهدد كيان الأسرة و المدرسة و المجتمع بأسره.**(فرج،1998:362)**

إن هذا المعطى النظري يقودنا حتما إلى التأكيد على أهمية طرح ظاهرة العنف المدرسي و محاولة تحليل أبعادها للحد من إفرازاتها السلبية و الخطيرة في الوقت ذاته من خلال مجموعة عناصر رأيناها ضرورية لتقديم الظاهرة علميا و الإجابة على تساؤل شامل و هام جدا في اعتقادنا هو : ما العنف المدرسي و ما هي أهم مظاهره ، و كيف يمكن معالجته..؟؟

أولا – مفهوم العنف المدرسي:

عرف الإمام "**السرخسي**" **الإكراه** " بأنه فعل يفعله المرء بغيره فينتفي فيه رضاه أو يفسد به اختياره " حيث نجد أن الفقهاء استخدموا الإكراه كمرادف للعنف وباعتبار العنف وسيلة لتحقيق الإكراه ، وعرفه الإمام الحطاب بأنه " ما يفعله بالإنسان مما يضره أو يؤلمه " . **(أبو الوفاء، 2000، 11)** .

أما لغة فقد عرف العنف في لسان العرببأنه الخرق بالأمر و قلّـة الرفق به ، و هو ضد الرفق ، و هو عنيف إذا لم يكن رفيقاً في أمره ، و اعتنف الأمر أخذه بعنف ، و التعنيف التعبير واللوم و في الحديث " إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها و لا يعنفها" **(الحوشاني، 2002، 110)**.

و لعل أهم المشاكل التي تواجه الباحثين الاجتماعيين في دراسة العنف مشكلة التعريفات و المفاهيم المرتبطة به فالعنف مصطلح ثقافي بالدرجة الأولى، فما يعتبر عنفا في ثقافة ما قد لا يعتبر كذلك في

ثقافة أخرى..**(المغازي، 1993، 32)**. لذلك فقد تعدّدت المفاهيم المرتبطة بالعنف فبعض الباحثين يفرقون بين العنف و العدوان، و البعض الآخر يعتبر العنف صورة متطرفة من العدوان أو هو التعبير المادي الواضح الذي يتخذ صورة سلوكية مادية موجهة نحو الآخرين أو ممتلكاتهم.

يعرفه Moyer بأنه شكل من أشكال العدوان الإنساني الذي يقصد به الإيذاء الشخصي، و إيذاء الآخرين وتحطيم الممتلكات و أن السلوك العنيف يتسم بالتكرار **(الشايجي، 2002، 2)**.

ويعرف Bandura العنف بأنه السلوك الذي ينجم عنه الأذى الشخصي وتحطيم الممتلكات وقيم المجتمع. **(فرج، 1997، 43)** ، في حين يرى (**القبانجي2001)** العنف : بأنه صورة من صور القصور الذهني حيال موقف أو هو وجه آخر من أوجه النقص التقني في الأسلوب و الإبداع في حل و مواجهة معضلة، و هو انعكاس للقلق و عدم الصبر و ضيق الصدر، و قد يلم العنف بصاحبه فيضرب نفسه أو يقطع شعره انتقاماً من فكره أو وسوسة في الدماغ.

و لأن العنف المدرسي أحد أبرز أنواع العنف فإنه يُعرف على أنه " مجموعة من التصرفات العنيفة من التلاميذ اتجاه التلاميذ ، أو من التلاميذ تجاه المعلمين ، أو من التلاميذ تجاه المدرسة ، بمعنى آخر هو مجموعة السلوكيات غير المقبولة إجتماعيا ، بحيث يؤثر على النظام العام للمدرسة ، و يؤدي إلى نتائج سلبية بخصوص التحصيل الدراسي ، و يُحدّد في العنف المادي كالضرب و المشاجرة و السطو على الممتلكات المدرسية و التخريب داخل المدرسة،والكتابة على الجدران و الإعتداء الجنسي و القلق و الإنتحار و حمل السلاح الأبيض و العنف المعنوي كالسباب و الشتم و السخرية و الإستهزاء و العصيان و إثارة الفوضى في الأقسام" **(حويتي،12:2008)**

يُعرف أيضا بأنه ذلك الصراع الذي ينجم بين الضوابط و القيم التربوية التي تُمثلها المدرسة و رغبات و تصورات عناصر العملية التربوية (الأستاذ ، الإدارة ، التلميذ) ويتّخذ العنف المدرسي أشكالا مختلفة منها ما يتعلق بالأفراد و يكون العنف إما باستخدام الضرب بالأيدي أو باستخدام الألفاظ النابية، و منها ما يكون اتجاه الأدوات و المعدات و الهياكل المدرسية ، و يكون سواء بالحرق أو الكسر أو الكتابة المسيئة"(**أحسن،2001: 16)**

هو أيضا "نمط من السلوك يتسم بالعدوانية يصدر من التلميذ أو مجموعة من التلاميذ ضد تلميذ أو مدرس و يتسبب في إحداث أضرار مادية أو جسمية أو نفسية لهم ، و يتضمن هذا العنف الهجوم و الاعتداء الجسمي واللفظي و العراك بين التلاميذ و التهديد، المطاردة، المشاغبة و الاعتداء على ممتلكات المدرسة أيضا".**(حسين طه ،262:2007)**

و لعل إسقاط ما سبق يوصلنا إلى التأكيد على أن العنف المدرسي هو "**مجموع السلوكيات الغير مقبولة التي ينتهجها طرف معين تجاه طرف آخر، و يحدث له إساءة أو ضررا نفسيا أو جسديا تحدث داخل المؤسسات التربوية و المؤثرة على النظام العام لها، و التي تنتج عنها نتائج سلبية فيما يتعلق بالنجاح الدراسي عموما، و هي سلوكيات لها مظاهر مادية و أخرى معنوية.**"

ثانيا . مظاهر العنف المدرسي:

لا شك أن المدرسة هذه المؤسسة التربوية الهامة في حياتنا جميعا هي ثاني مؤسسات التنشئة الإجتماعية بعد الأسرة ، و التي تعمل بدورها على إكمال و إتمام عملية التنشئة و خاصة في بعض أوجه النقص التي تعتري بعض أساليب التنشئة الإجتماعية الأسرية .. فهي أول مجتمع يتفاعل فيه الفرد بشكل واسع حيث تتعدد العلاقات التي يرتبط بها الأفراد و تزداد عمليات التفاعل و تزداد الأدوار التي يقومون بها في المدرسة .

فالمدرسة كما هو معلوم تعمل على تعليم الفرد أسس الحياة و مقّوماتها، و تحافظ على ثقافة المجتمع ، و توفر الفرص المناسبة لكافة جوانب الحياة المختلفة إلى المستوى الذي يتفق مع ما يتوقعه المجتمع من الأفراد و المستويات التي يصلون إليها ..**(الجندي ،1999: 42)**

قّدم الباحثون تفسيرات متنوعة لظاهرة العنف المدرسي ، لكن الشيء المؤكد هو أنه يحدث داخل سياق اجتماعي لذلك لا يمكن إهمال الظروف الإجتماعية المحيطة به، فالمتعلّم إبن بيئته ، يستبطن القيم و الممارسات التي يلاحظها في مجتمعه و داخل الفضاء العائلي خصوصا، و بالتالي فإن ردة فعله عادة ما تتّخذ شكل السلوك المتداول اجتماعيا، من خلال إعادة إنتاج نفس السلوكيات – النمذجة – و منها ظاهرة العنف .

فالأسرة بداية حقيقية لمرحلة التنشئة التي يمر بها المتعلّم ، و لعل الظروف الإجتماعية و الإقتصادية المحيطة بها أّدت إلى بروز تقصير اتجاه تربية الطفل ، و التأكيد المستمر على أهمية الماديات لاسّيما أمام التغّير الإجتماعي الذي مسّ الأسرة الجزائرية ، و ما ترتب عنه من إفرازات هامة جدا و خطيرة في الوقت ذاته أثّرت على الطفل و على وضعه التربوي لتصبح العملية التربوية أقل فعالية مقارنة بمراحل سابقة .

في المقابل و على مستوى المؤسسة التعليمية و كنتيجة للتغيرات و التطورات التي حدثت في المجتمع طيلة العقدين الماضيين، و الحالة التي تشهدها المدارس من اكتظاظ و كثافة في الدروس ، و ضعف في التأطير، إنتشرت مظاهر العنف المدرسي و أخذت أبعادا خطيرة جدا لاسيما في علاقتها بالعملية التعليمية و الإطار القيمي .و لعل الحديث عن أهمية المدرسة يقودنا حتما إلى التأكيد على خطورة السلوكيات العنيفة داخل هذه المؤسسة و لعلّ أبرزها :

*تسلط المعلّمين و استخدام العقاب البدني في التعامل مع المتعلّمين، خاصة ضد الأطفال الذين يعانون من صعوبات مختلفة ، فإن المعلّمين يتّبعون معهم أبشع الأساليب التربوية بتوجيه الإهانات والشتائم والضرب دون أن تستوعب إمكاناتهم أو دون وجود أي جهة تحاسب المعلم المعتدي. بالإضافة إلى ذلك فإن ممارسات العنف ضد الأطفال في المدارس تتفاوت في درجة الممارسة حسب الجنس و المستوى الاجتماعي والاقتصادي والفكري لهذا الطفل، فكثيرا ما تكون أعمال المضايقة سواء من قبل التلاميذ أو العاملين في المؤسسات التعليمة مرتبطة بالتمّيز ضد التلاميذ الذين ينحدرون من أسر فقيرة أو

المجموعات المهمّشة أو ذوي الاحتياجات الخاصة. كما أن العنف الموجّه ضد الفتيات من جانب المعلمين والزملاء يأخذ الطابع الجنسي في أغلب الأحيان.

*الخلافات مع المعلمين.

*التمرد على نظام المدرسة وتعليماتها.

* إثارة الشغب والفوضى مما يعيق سير العملية التربوية.

* الترويج لمختلف المواد و المؤثرات العقلية.

* عمليات تخريب لوازم ومرافق المدرسة.

* إيذاء المتعلمين والمعلمين.

* الإعتداءات الجنسية.

في هذا الإطار بالذات أكد علماء النفس و الإجتماع و التربية أن أسلوب العنف لا يولد إلاّ العنف من خلال إساءة المربين سّيما المعلّمين في اتباع أنماط عنيفة في التربية عن طريقة الإسراف في القسوة و الصرامة مع النشأ، و هذه الأنماط في التربية لها تأثير في توجيه ميول الأطفال نحو ارتكاب العنف. و يعود ذلك إلى بيئة إجتماعية منعدمة المواقف، متّصفة بالقلق و الانفعال و الاضطراب أو الاستياء، تفتقر للعلاقات الاجتماعية الطيبة، و كذلك إتباع أساليب العقاب بصورة مستمرة ، و قد يؤدي هذا إلى تعلّم الطفل مادة العنف وفقا لآراء **Bundura** و**Walters** أن الإستجابة للعدوان قد تكون لها نتائج معقدة، فالعقاب البدني مثلا سلوك قد يستثير عوامل الكف، إلا أنه في نفس الوقت يزود الطفل بنموذج يتم تقليده، و قد عبّر **Bundura** عن ذلك فيما يلي:"عندما يعاقب إخوانه فإنّه يتعلم ذلك السلوك العدواني وهذا ما يحدّد إتجاه سلوك الطفل عندما يواجه إحباطات في تفاعلاته الإجتماعية المتماثلة...فالسلوك العدواني قد ينمو من خلال تفاعل الأطفال مع بيئتهم الإجتماعية عن طريق إحساسهم بالإهانة أو بسوء المعاملة من الكبار، و مع وجود رغبة قوية لديهم بالتفوق تكون ردة فعلهم العنيفة المتمثلة بالسلوك العدائي الذي يشكل تعويضا عن إحساسه بالإهانة.و قد تؤدي ممارسة العنف على الأطفال وهم صغار إلى ممارسته لاحقا مع عناصر البيئة مع الأصدقاء، مع من يتعاملون معهم، و العدوانية ستعزز لديهم و تصبح متأصلة في شخصياتهم و في سلوكاتهم.**(شكور ، 1997، 113)**

ثالثا– أسباب العنف المدرسي:

لأن المنطلق الأساسي للبحث تمثل بالخصوص في التأكيد على خطورة ظاهرة العنف المدرسي ، فإننا نعتقد أن طرح أسبابه ضرورية جدا لمعالجته أو على الأقل الحد من بعض مظاهره حتى يتسنى لنا تحقيق وضع تمدرسي إيجابي لكل الفاعلين التربويين . و في محاولة منّا الإلمام ببعض الأسباب– و ليس جميعها– نظرا لخصوصية الظاهرة و ارتباطها بواقع تمدرسي كثيرا ما افتقد لمكونات أساسية مادية منها و معنوية لاعتبارات عديدة تحتاج إلى أكثر من دراسة علمية إجتماعية .

بقي التأكيد على أن أكثر أسباب انتشار العنف المدرسي المرتبطة بالوضع الأسري و التمدرسي ، و مثلما هي ملاحظة واقعيا تأثير التراكمات النفسية المتعلقة بطبيعة التربية الخاطئة التي يتلقاها الطفل في سنواته الأولى و التي تصبغ طبيعة سلوكياته في المستقبل، فكثيرا ما نرى الأسر في مجتمعنا تشجع الأبناء على مبدأ "**من ضربك اضربه**".

يأتي الطفل إلى المدرسة و هو مزود بهذا الإستعداد المكتسب للسلوكيات العنيفة ، و قد يجد سلوكيات مماثلة داخل الفضاءات التربوية تغذي هذا الإستعداد و تنّميه ؛ لتكون النتيجة ظاهرة العنف المدرسي المتميّز عن غيره من أنواع العنف في المجتمع. و لعلّ الأسباب المباشرة للعنف الذي ينقله الفرد من أسرته إلى المدرسة هو الحالة الاجتماعية لأسرته حيث يؤدي الحرمان المادي و المعنوي دورا رئيسا في ميل الفرد إلى العنف كرد فعل على هذا الحرمان.فالفرد بطبيعته يُعّبر عن رفضه الحرمان بأشكال مختلفة حسب مراحل عمره... و إذا كان الطفل الذي كان يكتفي بالبكاء أو الصراخ للتعبير عن الحرمان من الحاجيات الضرورية و هو صغير، يتحول تعبيره إلى أشكال أخرى عنيفة ، مع شدّة حاجته إلى ضروريات و حاجيات أخرى.

ومن المعروف أن الأسرة التي تعاني من مشاكل الفاقة والحرمان والخلافات أو التفكك وصعوبات التواصل البناء، و أساليب التربية التسلطية للوالدين ؛ تنعكس سلبا على سلوكيات الأبناء ، ذلك لأن الطفل الذي يلاحظ مظاهر العنف المختلفة والممارسة داخل الأسرة اتجاه أحد الوالدين أو الإخوة ،يؤدي إلى ما يعرف بدائرة العنف.

تستقبل المؤسسة التربوية المتعلمين بأشكال و مستويات مختلفة من النمو الإنفعالي، المعرفي، و الوجداني، و الحس- حركي أي بأصناف مختلفة و متفاوتة من التربية. فكما تنصهر الأشكال التربوية الإيجابية في بوتقة واحدة داخل فضاءات المؤسسات التربوية المدرسية ، تنصهر أيضا الأشكال التربوية السلبية أو الانحرافات، و على رأسها العنف الذي ينسب إلى المدرسة ، و الذي تعود أسبابه إلى طبيعة الإدارة التربوية التسلطية أو طبيعة معاملة المرّين القاسية للمتعلّمين، أو سوء المعاملة بين الأطر التربوية فيما بينها سواء تلك المكلّفة بالتدريس أو تلك المكلّفة بالتسيير الإداري. إلى جانب هذا، قد يكون موقع المؤسسات التربوية مشجعا على عنف المتعلّم بسبب وجوده في مناطق هامشية أو أحياء غير آمنة تكون ملاذا للمنحرفين..ضف إلى ذلك أن غياب الأنشطة الموازية الثقافية و الفنية و الرياضية و الترفيهية تجعل من المؤسسات التربوية فضاءات أشبه ما تكون بالمعتقلات أو السجون..كما من شأن أساليب و طرق التدريس ، إلى جانب أساليب التقويم،أن تكون قاسية فتولد ظاهرة العنف لدى المتعلّمين كرد فعل عليها.

و كتكملة لما سبق يبرز الفشل الدراسي المسبب للإحباط و اليأس بفعل النتائج غير المرضية ، إلى جانب غياب الضوابط المحدّدة للسلوكيات المرغوب فيها داخل المؤسسات التربوية ، و هو ما يعني غياب القوانين الداخلية للمؤسسات أو تعطيلها أو عدم تفعيلها. و من الأسباب المشجعة على العنف

المدرسي أيضا التعامل معه كقيمة إيجابية تعكس القوة و الشجاعة و البطولة و التحدي ، و هو ما يجعل المتعلّمين يميلون إلى العنف من أجل بلوغ مراتب يرونها إيجابية و بطولية. **(الجلبي، 2006، 73)**

رابعا- النظريات المفسرة للعنف:

ارتبط تفسير المشكلات منذ نشأتها بالنظريات المتعاقبة و المداخل العلمية المتعددة للعلوم الإجتماعية، فكانت في بداية نشأتها تفسر أسباب المشكلة على أنها نتيجة عوامل بيئية، ثم ارتبط تفسير المشكلات و علاجها في خدمة الفرد بالنظريات المختلفة لعلم النفس، و بما أن العنف هو الجانب النشط للعدوانية التي تعد استعداد دفين في أعماق الإنسان ويولد مزود بها، فإن الأطفال يختلفون في شدة نزعتهم للعنف باختلاف الأسباب المحفزة له، ولدراسة وتفسير هذه المشكلة لا بد من الوقوف على أهم النظريات و المداخل التي يستخدمها الممارسين لتفسير العنف مع التأكيد على تعدد الطروحات العلمية الإجتماعية المفسرة للظاهرة و تنوع مضامينها الفكرية لعلّ أبرزها:

4-1- الاتجاه الجسمي البيولوجي: يرجع أصحاب هذا التوجه العنف إلى سبب بيولوجي يدخل في تكوين الشخصية أساسًا، ويرون أن العدوان جزء أساسي من طبيعة الإنسان وأنه التعبير الطبيعي لعدة غرائز مكبوتة وأن أي محاولات لكبت عنف الإنسان تنتهي بالفشل لأن كل العلاقات الإنسانية ونظم المجتمع يحركها من الداخل الشعور بالعدوان. **(العقاد، 2001، 107)**.

4-2- الاتجاه النفسي: نقدم في هذا الإتجاه وجهة نظر كل من المدرسة المعرفية، و التحليل النفسي، ثم المدرسة السلوكية ممثلة في نظرية التعلم الإجتماعي، و نظرية الإحباط:

4-2-1 النظرية المعرفية: حاول علماء النفس المعرفيون أن يتناولوا العدوان بالبحث و الدراسة بهدف علاجه، و قد ركزوا معظم دراستهم و بحوثهم حول الكيفية التي يدرك بها العقل الإنساني وقائع أحداث معينة في المجال الإدراكي أو الحيز الحيوي للإنسان كما يتمثل في مختلف المواقف الاجتماعية المعاشة و انعكاسها على الحياة النفسية للإنسان مما يؤدي إلى تكوين مشاعر الغضب والكراهية،و كيف أن مثل هذه المشاعر تتحول إلى إدراك داخلي يقود صاحبه إلى ممارسة السلوك العنيف،ومن ثم كانت طريقتهم العلاجية للتحكم في هذا السلوك تتمثل في التعديل الإدراكي للفرد بتزويده بمختلف الحقائق و المعلومات المتاحة في الموقف مما يوضح أمامه المجال الإدراكي ولا يترك أي غموض أو إبهام مما يجعله متبصرا لكل الأبعاد و العلاقات بين السبب والنتيجة**(عبد العال،1992، 38)**

4-2-2 نظرية التحليل النفسي:أما نظرية التحليل النفسي و التي يعد (فرويد Freud) مؤسسها فترى بأن العدوان غريزة فطرية لاشعورية،

ودافع غريزي موروث عند بني البشر كالجوع والعطش يحتمه التكوين العضوي للإنسان فهو عامل مشترك بين الناس جميعا على اختلاف حضاراتهم وعصورهم. **(إدريس، 1996، 47)**

ويفترض فرويد أن حاجات الإنسان تُرد جميعها إلى غريزتين هما: غريزة الحياة والموت وكلاهما تلح في طلب الإشباع، الأولى تهدف إلى تأليف الأشياء مع بعضها والعمل على بقائها للحصول على

اللذة وحفظ النوع ودافعها الحب والثانية ترتبط بالهدم ودافعها التدمير من أجل فناء الإنسان،وترتبط بالعدوان ولا نراها إلا عندما توجه للخارج وتجد طريقها للتعبير باستخدام الجهاز العضلي (العنف)الذي يسيطر على الإنسان (**الخطيب، 1992، 16**)

و وفق تصور "**فرويد**" فان الشخصية الإنسانية تنطوي أساسا على ثلاثة عناصر متصارعة و متناقضة وهي:

* **الـ(هو):** وتعني الدوافع القوية التي تبحث عن الإشباع بأي طريقه.

* **الأنا الأعلى:** وهي عبارة عن الصورة المثالية والفضائل الأخلاقية التي نتعلمها في الصغر، وهي بمثابة الوازع الذاتي الذي يؤدي إلى الضبط الداخلي.

* **الأنا:** وهي الذات في صورها العاقلة التي تكبح جماح الأنا العليا في الإسراف في المثالية من ناحية، والـ(هو) في الإسراف في الملذات من ناحية أخرى، فإذا عجزت الأنا في تقويم الـ(هو) والأنا الأعلى، وقع الإنسان في صراع داخلي، وهذا الصراع إما أن تتغلب الأنا الأعلى عليه فيتجه الفرد إلى السلوك القويم، وإما أن تتغلب الـ(هو)عليه، وبذلك يتجه الفرد إلى السلوك المنحرف والسلوكيات الخاطئة ومنها العنف.(طالب،2003، 92)

ويؤكد (**أدلر Adler**) وهو من إتباع نظرية "**فرويد**" على أن العدوان لدى الطفل ينشأ من شعوره بالنقص أو الخوف أو الفشل نتيجة قصور بدني أو معنوي أو اجتماعي وإذا لم يتغلب على هذه المشاعر يصبح سلوك العنف على الآخرين استجابة تعويضية عن هذه المشاعر لأنه لم يتعلم كيف يتغلب على المشاكل التي تواجهه في المستقبل بإتباع أسلوب معين. (**ملحم، 2002، 287**)

4-2-3 النظرية السلوكية " نظرية التعلم الاجتماعي ": من رواد هذه النظرية (**ألبرت باندورا Bandura**) حيث يرجع السلوك إلى انه متعلم ، وأن الأفراد ينتهجون سلوك العنف لأنهم تعلّموا هذه السلوكيات في مرحلة ما ، و أن الطفل يتعلم سلوكًا جديدًا بمجرد مراقبته لطفل أو شخص يمارس مثل هذا السلوك أو من خلال محاكاته لسلوك الآخرين،و أن الإنسان يتعلم العنف من المجتمع حوله سواء كان ذلك في الحياة اليومية في الأسرة أو المدرسة أو وسائل الإعلام (**عبد المحمود، 2004، 35**).

4-2-4- نظرية الإحباط: من أشهر علماء هذه النظرية (**ميللر دولارد، Muller, Dollard**) و وصفوا الإحباط بأنه شعور ذاتي يمر به الفرد عندما يواجه عائق ما يحول دون تحقيق هدف مرغوب أو نتيجة يتطلع إليها والإحباط يؤدي إلى الغضب، والغضب يجعل الشخص مهيئا لممارسة العنف. (**ملحم، 2002، 287**).

ومن منطلق التركيز على مرحلة الطفولة المبكرة، يرى "**فرويد**" أن الإحباط يحدث للطفل عندما يحدث ما يؤخر أو يعطل إشباع حاجاته، وهنا يبدأ في ممارسة السلوك العنيف تجاه مايواجهه، وتعتمد درجة تحمل الفرد للإحباط بعد نضوجه على الطريقة العنيفة التي مارسها في طفولته، وعلى درجة التحكم والضبط التي اكتسبها من البيئة المحيطة به.(**علاوي،1998، 29**)

4-3 الاتجاه الاجتماعي: لعل أبرز نظرية عالجت العنف في الإطار الاجتماعي نظرية الدور الإجتماعي و تضمنت بالتحديد فكرا مميزا و هو أن المشكلة الفردية تحدث عندما يفشل الفرد في أداء دور أو أكثر من الأدوار الاجتماعية أو إذا حدث تعارض بين المتطلبات والوظائف المختلة لأدوار الفرد أو تعرض لمعوقات معينة.

ويرى(**زنانيكي Znanicki**) أن الدور الاجتماعي يعتبر نسقا اجتماعيا ديناميكيا يتضمن أربع مكونات للتفاعل **الدائرة الاجتماعية:** و هي مجموعة الأشخاص الذين يتفاعلون مع القائم بالدور ويقدرونه وغالًبا ما يكونون الجماعة المرجعية له .

- **ذات القائم بالدور:** وتشمل الخصائص البدنية والسيكولوجية المتعلقة بالمركز الذي يشغله .
- **المكانة الاجتماعية للقائم بالدور:** وتعني المسموحات والممنوعات الموكلة إليه بشيء متضمن في مركزه
- **الوظائف الاجتماعية للقائم بالدور:** وهي مساهمته نحو دائرته الاجتماعية. **(النوحي، 1999، 4)**

و يمكن تفسير العنف عند الأطفال في ضوء نظرية الدور من حيث التفاعل المستمر مع الآخرين، فالطفل قد يستجيب للعديد من الاستجابات أثناء عملية التفاعل، و تختلف تلك الاستجابات تبعًا لإدراكه للموقف و توقعات الآخرين منه أثناء أدائه لأدواره المختلفة و في بعض الأحيان تتسم استجاباته و ردود أفعاله بالعنف، و ذلك نتيجة عدم وضوح الرؤيا في الموقف من حيث المسموح و الممنوع و المسؤوليات المطلوبة و ما يتوقع الآخرين منه فينشأ التعارض بينهما، و يوجه له العقاب مما يدفعه إلى الاستجابة العنيفة في كثير من المواقف.

إن محاولة الإلمام ببعض المعطيات النظرية الخاصة بظاهرة العنف تعني بالتأكيد أن إسقاطها على الظاهرة محل الدراسة هام جدا في فهم أبعاد الظاهرة لاسيما و أن كل نظرية حاولت تحديد المعنى العلمي للعنف في ضوء التوجه الفكري لها و التركيز على جانب معين ..فبدءا بالنفسي و وصولا إلى الاجتماعي يتبين لنا دور اكتساب سلوكيات عنيفة و تعلّمها و محاولة تجسيدها واقعيا دون الوعي بخطورة في أشكال متعددة قد تأخذ الطابع الإنتقامي أو إثبات الذات، أو تفريغ شحنات انفعالية ، أو سوء فهم دور معين ، أو أسلوب خاطئ في التنشئة الإجتماعية و غيرها من الأسباب التي ستأخذ مظاهر عنيفة في المدرسة و تؤثر على العملية التربوية التعليمية..

خامسا – إفرازات العنف المدرسي:

على ضوء تعريف العنف المدرسي في الاصطلاح التربوي و الذي حصرناه في مجمل السلوكيات غير المقبولة تربويا و المؤدية إلى نتائج سلبية فإن من النتائج السلبية للعنف المدرسي ما يلي:

1- على المستوى التعليمي :

- تدّني مستويات التحصيل الدراسي

●التسرب الدراسي

●الفشل الدراسي

●إختلال منظومات الزمن المدرسي و زمن التعلم، و هو ما يسّبب فقدان الثقة في المنظومة التربوية بالنسبة للمتعلمين ، حيث تتولد لديهم كراهية الفضاءات الدراسية و كراهية كل ما يمتّ إليها بصلة.

2- على المستوى السيكولوجي للمتعلمين:

●السقوط في العنف كرد فعل على عنف سابق حيث قد يجد المتعلم الذي يكون ضحية العنف نفسه مضطرا للانتقام من خلال ممارسة عنف مضاد سواء ضد أقرانه أو ضد المربين أو ضد المؤسسة الدراسية.

●المخاوف التي قد تتحول إلى أمراض نفسية مستعصية منها المعاناة من الخوف (الفوبيا) و التوترات العصبية، و الحيل اللاشعورية كالتمارض لتجنب الدراسة و الكذب و الانطواء والاكتئاب واللجلجة في الكلام، وغير ذلك من الأعراض الدالة على المعاناة السيكولوجية بسبب العنف المدرسي.

●الاتجاهات النفسية للمتعلمين نحو المدرسة لاسيما في مرحلة المراهقة و ما يصاحبها من تغيرات نفسية و انفعالية تطرأ على شخصيته و تؤثر على تنظيم أفكاره و تحصيله الدراسي.

●كثرة الغيابات و التنقل بين الفصول و الذي يؤدي إلى سوء التوافق النفسي و عدم قدرة المتعلم على التكيف مع الأوضاع الجديدة.

●إهمال الواجبات و عدم اهتمام المتعلّم بالدراسة كمؤشر على كراهيته لمادة معينة أو لأستاذ المادة.

●الإضطرابات الفسية التي تؤدي بالمتعلّم إلى حالة من اللاّإستقرار و اللاّتوازن ، و التي تدفع بالمتعلّم إلى الغياب المستمر و التأخر الدراسي في بعض السنوات الذي يعيقه على التحصيل إذا لم يلق الرعاية اللازمة من طرف الأساتذة أو مستشار التوجيه أو الأولياء..

هذه العوامل النفسية تولّد لدى المتعلّم ضعف الثقة بالنفس و قلة الإرادة ، و تسبب له القلق و بالتالي تؤثر على تحصيله الدراسي، و تعيقه على تحقيق ما يطمح إليه.

3 على المستوى الإجتماعي:

●يتأثر المتعلم بأوضاع و تغيرات المجتمع الإقتصادية و الإجتماعية و انعكاساتها، فالمؤسسة التعليمية لم تعد بمعزل عن المجتمع ، و يكون أكثر حساسية بقضايا المجتمع و مشكلاته .

● عدم قدرة المتعلم على التكّيف مع المواقف الإجتماعية الجديدة في حياته و التوافق معها في غياب المرافقة البيداغوجية الجيدة لاسيما و أن عدم فهم حاجاته من شأنه أن يسّبب له أزمات نفسية ، و تعصف بمسيرته الدراسية.

•أن المتعلّم في الغالب مثقل بمشاكل المجتمع الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية، متأثر بمختلف الانحرافات و المظاهر السلبية المنتشرة داخل المجتمع.

4 على المستوى الأسري:

تلعب الأسرة دورا رئيسيا في تكوين و تشكيل و تنمية شخصية التلميذ و تغذيته بمختلف المشاعر و الأحاسيس التي تمكنه من المساهمة في بناء مجتمعه ، و تدعيم وحدته و تماسكه و مواجهة مشكلاته و أزماته إلا أن هناك عدة عوامل أسرية تؤثر بدورها على التلميذ في مجال تحصيله الدراسي من بينها:

- سوء العلاقة بين الوالدين، أو بين الطفل و أحد والديه، أو بين الطفل و أحد إخوته.
- عدم الاهتمام بمراقبة الوالدين للنتائج الدراسية التي يتحصل عليها التلميذ.
- عدم توفير الإمكانيات اللازمة التي يحتاجها المتعلم في دراسته مثل: الكتب، اللباس الأنيق، دروس الدعم والتقوية...
- الصورة السلبية للأبوين نحو المدرسة.
- لا مبالاة الآباء و استقالتهم عن واجبهم اتجاه أبنائهم في هذه المرحلة الحساسة.(**عثمان منصور، 2000، 120)**

خاتمة:

فلأن العنف المدرسي انعكاس المناخ السائد في المدرسة، و باعتبار المناخ المدرسي نوع التفاعل الذي يحدث بين المدرسين و التلاميذ ، و بين التلاميذ أنفسهم، و بين المدرسين أنفسهم، و بين الإدارة المدرسية والمدرسين، وبين الإدارة و التلاميذ ، وبين المدرسين في المدرسة و الآباء و المجتمع الخارجي، فإن المناخ المدرسي الآمن والإيجابي يسهم في خفض المشكلات السلوكية و النفسية للطلاب، و منها مشكلة العنف داخل المدرسة، كما أن المناخ المدرسي الإيجابي يساعد على التحصيل الأكاديمي للطلاب واحترام جميع أعضاء المدرسة و العدل و الانضباط المدرسي و زيادة المشاركة بين المدرسة و المنزل و يؤدي إلى تحقيق نتائج تربوية و نفسية إيجابية. **(طه عبد العظيم،43:2007)**

كما يقودنا هذا الطرح النظري للبحث إلى التأكيد على جملة معطيات نعتقد أنها قادرة على التقليل من انتشار ظاهرة العنف في الوسط المدرسي، و بناء نظام علائقي "أسرة – مدرسة" متكامل كفيل بتحقيق العملية التعليمية التعلّمية في ظروف ملؤها التعاون و الإحترام لعل أبرزها :

- ضرورة إلتزام الأسرة و المدرسة بالشراكة و التعاون لسد الفجوة الكبيرة بينهما.
- العمل على تحسين العلاقة التربوية بين المعلم و المتعلم التي باتت سلبية في الكثير من الأحيان
- ضرورة دمج المفاهيم التعليمية التي تتضمن ظاهرة العنف بالمقررات الدراسية المختلفة ومعالجتها تربويا.

•استحداث الأنشطة اللاّصفية التي تُكسب المتعلم المهارات الحياتية لمواجهة العنف، ولتفريغ الطاقة.

•توجيه الأخصائيين الاجتماعيين و النفسانيين المؤسسات التربوية بالحرص في التعامل مع حالات العنف التي يتعرض لها المتعلمين في هذه المرحلة الحرجة.

•الاهتمام بنشر برامج تثقيفية لتوجيه الوالدين والأهل بصفة عامة نحو الأساليب البناءة والإيجابية لرعاية الأطفال وحمايتهم من مصادر العنف، ومشاركتهم هواياتهم وأيضاً مشاكلهم وهمومهم حتى وإن بدت بسيطة بالنسبة لنا.

قائمة المراجع:

1. أبو الوفاء، محمد (2000). العنف داخل الأسرة بين الوقاية والتجريم والعقاب في الفقه الإسلامي والقانون الجنائي. دار الجامعة الجديد للنشر، الإسكندرية.
2. أحسن،طالب(2001).العنف في المؤسسات التربوية و الدور الوقائي للإعلام ، مجلة الفكر الشرطي،الشارقة.
3. إدريس، الجوهرة(1996). دور خدمة الفرد في تعديل السلوك العدواني لدى الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية. أطروحة دكتوراه غير منشورة، الرياض، كلية الخدمة الإجتماعية.
4. حسين، طه عبد العظيم .(2007) .سيكولوجية العنف العائلي و المدرسي .الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة.
5. الجلبي، سوسن شاكر (2006). مشكلات الأطفال النفسية وأساليب المساعدة منها. دار رسلان، دمشق.
6. الجندي و آخرون (1999). دراسة تحليلية إرشادية لسلوك العنف لدى تلاميذ المدارس الثانوية ، مجلة الإرشاد النفسي ،العدد 11 ، القاهرة
7. الحوشاني، علي عبدالله(2002). الخصائص الإجتماعية لضحايا جرائم العنف بمدينة الرياض. مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الأداب.
8. الحويتي، أحمد(2008).العنف المدرسي ، الأسباب و المظاهر ، مرصد حقوق الطفل ، الجزائر.
9. الخطيب، جمال(1992). تعديل السلوك. دار المعارف، القاهرة.
10. شكور، خليل وديع (1997).العنف و الجريمة . الدار العربية للعلوم .
11. صابة، سهام(2014). تعاون الأسرة والمدرسة ونجاح التحصيل الدراسي. المركز الوطني للوثائق التربوية. ج1، 93-105.
12. طالب، محسن(2003). الجريمة والعقوبة في المؤسسات الإصلاحية. دار الطليعة، بيروت.
13. العقاد، عصام عبد اللطيف(2001). سيكولوجية العدوانية وترويضها. منحى علاجي معرفي جديد، دار الغريب، القاهرة.
14. عبد المحمود، عباس(2004). جرائم العنف وأساليب مواجهتها في الدول العربية. جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض.
15. عبد العال، سيد (1992). نظريات علم النفس والمداخل الأساسية لدراسة السلوك الإنساني. مكتبة سعيد رأفت، مصر.
16. عثمان، منصور(2000). الأسرة على مشارف القرن 21، دار الفكر العربي، ط1، مصر.

17.علاوي، محمد حسن(1998). سيكولوجية العدوان والعنف في الرياض. مركز الكتاب للنشر، مصر.
18.فرج ، و آخرون (1998). ظاهرة العنف بين الأطفال و المعاملة الجنائية ، مجلة مركز بحوث الشرطة ، العدد 14 ، القاهرة.
19.القبانجي، علاء الدين(2001). العنف (السيكولوجية والعلاج). مجلة النبأ، العدد 47، 114–139.
20.ملحم، سامي محمد(2002). مشكلات طفل الروضة (التشخيص والعلاج).دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن.
21.المغازي، ضحى(1993). العنف الأسري(رؤى سوسيولوجية). المؤتمر العلمي السادس، القاهرة، كاية الخدمة الإجتماعية، جامعة حلوان.
22.النوحي، عبد العزيز فهمي(1999). نظريات خدمة الفرد(خدمة الفرد السلوكية). دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
23- FOURNIER. M(2013). « Violence : les paradoxes d'un monde pacifié »,**Revue Sciences Humaines**, avril, p.30-59.